

المؤتمر العالمي الثامن للوحدة الإسلامية

(104)۔ يُحمد بما لم يفعل معذّباً لِنُعَذِّبَ بْنَ أَجْمَعُونَ. فقال ابن عباس: ومالك لهذه ! إنّما دعا النبي صلى الله عليه وآله يهود فسألهم عن شيء فكتموه إيّاه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أُوتوا من كتمانهم، ثمّ قرأ ابن عباس: ? وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّذُنَّهٗ لِّلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيِّضْ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ? (1). 3- حكى عن عثمان بن مظعون وعمر بن معد يكرب أنّهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجّان بقوله تعالى: ?لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَآتَوْا حَسَنًا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ? (2). وخفي عليهما سبب نزولها، فإنّه يمنع من ذلك، وهو أنّهُ لمّا نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبرنا أنّها رجس فأنزل الله تعالى: ?لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ...? (3). 4- ربّما يتوهّم أنّ قوله تعالى: ?وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّ يَدْمًا تُؤَلُّوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ? (4) ينافي القول بوجوب الاستقبال نحو الكعبة المشرفة، لكنّ الذي يطالع على سبب نزول الآية يستنتج أنّها عالجت حال نفر من المؤمنين ضلّوا في ليلة مظلمة فلم يدروا أين القبلة، فصلّى كلّ رجلٍ منهم على حاله تبعاً لاجتهاده (5)، فلم يضع الله لأحد منهم عمله، وأثابه الرضا عن صلاته ولو لم يتّجه إلى الكعبة، لأنّه لم يكن له إلى معرفة القبلة سبيل في ظلام الليل البهيم. _____ 1- صحيح البخاري 3: 115، البرهان في علوم القرآن 2: 202- 203، والآيتان من سورة آل عمران 187- 188. 2- سورة المائدة: 93. 3- البرهان 1: 28، وأسباب النزول للواحي: 140. 4- سورة البقرة: 115. 5- أسباب النزول: 23.